# الباب الثامن

# اللَّـه منـزه
# عن الزمـان والمكـان

## 9الجهة والمكان والزمان:

قلنا فيما سبق إنَّه انتشرت في عصرنا مفاهيمُ خاطئةٌ حول تفسير وفَهْمِ النصوص التي تتحدث عن الذات الإلهية المقدَّسة، وكان السبب الرئيسيُّ في ذلك اعتماد الخيال والوهم مصدرًا للعقيدة والديانة، فتم قياس الغائب على الشاهد، فأثبتوا لله حيزًا يشغله ومكانًا يحويه، مع إقرارهم بأنَّه -سبحانه وتعالى- ليس كمثله شيء؛ فوقعوا في التناقض والاضطراب.

وكان من عمدتهم في إثبات المكان لله سبحانه تفسيرهم الخاطئ للآية الكريمة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأخواتها من الآيات: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٤]، وهن سبع آيات في القرآن الكريم، وكان ذلك مع وجود التفسيرات المتعددة اللائقة بذات الله سبحانه، والمتفقة مع تنزيهه، والمؤيدة بالقرائن والدلائل في نفس سياق الآيات، إضافة إلى آيات التنزيه العامة القاطعة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: من الآية ١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

لذا قدمنا هذه الكلمات في إيضاح هذا المفهوم، فنقول مستعينين بالله سبحانه.

# المكان

يطلق المكان على الحيِّز الذي فيه الجسم والمحدود بأطراف الجسم، أما في الاصطلاح فيقول البَيْجُورِيُّ: «والمكان عند أهل السنَّة هو الفراغ الموهوم». اهـ.

أي الفراغ الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده، وسمَّاه موهومًا لأنَّه لا يوجد إلا في الوهم بعد أن يتخيله العقل بدون وجود الجسم فيه.

وفيه أقوال متقاربة:

**أحدها**: إنَّ المكان هو السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوِيِّ عليه، كالسطح الباطن من الكُوز المماس للسطح الظاهر من الماء الذي فيه.

قال الراغب: المكان عند أهل اللغة: «الموضوع الحاوي للشيء».

**الثاني**: المكان هو الأبعاد التي بين غايات الجسم.

**الثالث**: المكان بُعْدٌ مفرُوضٌ مُقَدَّرٌ.

**الرابع**: المكان هو الخلاء. وهو رأي علماء الكلام.

ذكر هذه الأقوال الأربعة الزَّرْكَشِيُّ في شرحه على «جمع الجوامع»، ونقلناها عنه باختصار.

فالمكان بهذا مستحيل في حق الله سبحانه؛ لأنَّه لو كان له مكان لكان جسمًا، ولكان مماثلًا لمخلوقاته، وهذا محال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ويلاحظ أنَّ نفي المكان يستلزم نفي الحدود عن ذات الله سبحانه وتعالى، وكذا نفي الجهة.

ومن المعلوم أنَّه عزَّ وجل واجب الوجود، كان ولا زمان ولا مكان، وهما -أعني الزمان والمكان- مخلوقان، والضرورة تستلزم أنَّ من هو في مكان فإنَّ المكان محيط به؛ فيكون مقدَّرًا ومحدودًا، وهو سبحانه وتعالى منزَّه عن التقدير والتحديد، وعن أن يحويه شيء وأن يحدث له صفة، تعالى الله عمَّا يصفون وعمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي في كتابه «المعتمد»: إنَّ الله -سبحانه وتعالى وتقدَّس- لا يُوصَف بمكان.

فإن قيل: يلزم من نفي المكان نفي الجهات، ونفيُها يُحيل وجودَه.

**فالرَّد**: وأيضًا إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فمُسَلَّمٌ، أما إذا لم يقبلهما فليس خُلُوُّهُ من طرفي النقيض بمحال، ويوضح هذا أنك لو قلت: كل موجود لا يخلو أن يكون عالمًا أو جاهلًا، قلنا: إن كان ذلك الموجود يقبل الضدين فنعم، أما إذا لم يقبلهما -كالحائط مثلًا- فإنَّه لا يقبل العلم ولا الجهل.

ونحن نُنَزِّهُ الذي ليس كمثله شيء -سبحانه وتعالى- كما نَزَّهَ نفسه عن كل ما يدل على الحدوث، وما ليس كمثله شيء لا يتصوره وَهْم ولا يتخيَّله خيال، والتصور والخيال إنَّما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات، وتعالى عن ذلك.

# الزمـــان

يقول الإمام فخر الدِّين الرَّازِيُّ: «قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

وهذا مشعرٌ بأنَّ المكان وكل ما فيه مِلْكٌ لله تعالى.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: من الآية ١٣] يدلُّ على أنَّ الزمان وكل ما فيه ملكٌ الله تعالى.

ومجموع الآيتين يدلان على أنَّ المكان والمكانيان والزمان والزمانيان كلها ملك لله تعالى، وذلك يدلُّ على تنزيهه عن المكان والزمان، وهذا الوجه ذكره أبو مسلم الأصفهاني / في تفسيره». اهـ. [من «أساس التقديس»].

# التنزيه عن المكان والجهة والزمان في أقوال الصحابة والتابعين والأئمة

١- قال الصحابي الجليل، والخليفة الراشد سيدنا علي © (ت ٤٠هـ) ما نصه: «كَانَ اللهُ وَلَا مَكَانٌ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». اهـ [أي بلا مكان][١].

٢- وقال أيضًا © : «إنَّ الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته، لا مكانًا لذاته». اهـ[٢].

٣- وقال أيضًا © : «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود». اهـ. [المحدود: ما له حجم، صغيرًا كان أم كبيرًا][٣].

٤- وقال التابعي الجليل، الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي © (ت ٩٤هـ) ما نصه: «أنت الله الذي لا يحويك مكان». اهـ[٤].

٥- وقال أيضًا: «أنت الله الذي لا تُحَدُّ فتكون محدودًا». اهـ[٥].

٦- وقال الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين رضوان الله عليهم (ت ١٤٨هـ) ما نصه: «من زعم أنَّ الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدثًا -أي مخلوقًا-». اهـ[٦].

---

(١) «الفَرْقُ بين الفِرَق»، للبغدادي: (١/ ٣٢١). (٢) «الفَرْقُ بين الفِرَق»: (١/ ٣٢١).
(٣) «حلية الأولياء»، لأبي نُعيم/ ترجمة علي بن أبي طالب، (١/ ٧٣).
(٤) «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»، للمرتضى الزَّبيدي، (٤/ ٣٨٠).
(٥) «إتحاف السادة المتقين»، (٤/ ٣٨٠).
(٦) ذكره القشيري في رسالته المعروفة بـ«الرسالة القشيرية»، (ص٦).

٧- قال الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت © (ت ١٥٠هـ)، أحد مشاهير علماء السلف، وإمام المذهب الحنفي ما نصه: «والله تعالى يرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رءُوسهم، بلا تشبيه ولا كيفيَّة، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة»[١].

٨- وقال أيضًا في كتابه «الوصية»: «ولقاءُ الله تعالى لأهل الجنة -بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة- حقٌّ». اهـ[٢].

٩- وقال أيضًا: «قلت: أرأيت لو قيل: أين الله تعالى؟ فقال- أي أبو حنيفة-: يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء». اهـ[٣].

١٠- وقال أيضًا: «ونقرُّ بأنَّ الله -سبحانه وتعالى- على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار؛ فقبل خلق العرش أين كان الله! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا». اهـ[٤].

١١- وقال الإمام المجتهد، محمد بن إدريس الشافعي © ، إمام المذهب الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ما نصه: «إنَّه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغيير في ذاته، ولا التبديل في صفاته». اهـ[٥].

---

(١) ذكره في «الفقه الأكبر». انظر: «شرح الفقه الأكبر»، لملا علي القاري، (ص١٣٦، ١٣٧).

(٢) «الوصية»، (ص٤)، ونقله ملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»، (ص١٣٨).

(٣) «الفقه الأبسط ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة»، (ص٢٥).

(٤) «كتاب الوصية، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة»، (ص٢)، وملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»، (ص٧٥) عند شرح قول الإمام: «ولكن يده صفته بلا كيف».

(٥) «إتحاف السادة المتقين»، (٢/ ٢٤).

١٢- وأما الإمام المجتهد الجليل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني © (ت ٢٤١هـ)، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة فقد ذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي أنَّه كان من المنزِّهين لله تعالى عن الجهة والجسمية، ثم قال ابن حجر ما نصه: «وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد، من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها؛ فكذب وبهتان وافتراء عليه». اهـ[١].

١٣- وكذا كان على هذا المعتقد: الإمام شيخ المحدثين، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب «الصحيح» (ت ٢٥٦هـ)؛ فقد فهم شُرَّاح صحيحه أنَّ البخاري كان ينزِّه الله عن المكان والجهة.

١٤- وقال الإمام الحافظ الفقيه، أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١هـ) في رسالته «العقيدة الطحاوية» ما نصه: «وتعالى -أي الله- عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات». اهـ.

١٥- وقال الحافظ مُحَمَّدُ بن حِبَّانُ (ت ٣٥٤هـ)، صاحب الصحيح المشهور بـ «صحيح ابن حبان» ما نصه: «الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيحتوى، ولا له أجل معدود فيفنى، ولا يحيط به جوامع المكان، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان»[٢].

١٦- وقال أيضًا ما نصه: «كَانَ اللهُ وَلا زَمَانَ وَلا مَكَانَ». اهـ[٣].

١٧- وقال أيضًا: «كَذَلِكَ يَنْزِلُ -يعني الله- بِلا آلَةٍ وَلا تَحَرُّكٍ، وَلا انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ». اهـ[٤].

(١) «الفتاوى الحديثية»، لابن حجر الهيتمي، (ص١٤٤).
(٢) «الثقات»، لابن حبان، (١/ ١).
(٣) «صحيح ابن حبان»، وانظر: «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان»، لابن بلبان الفارسي، (٨/ ٤).
(٤) «صحيح ابن حبان»، (٢/ ١٣٦).

١٨- وقال الشيخ أبو سليمان أحمد بن محمد الخَطَّابي (ت ٣٨٨هـ)، صاحب «معالم السنن» ما نصه: «وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ هُوَ أَنَّهُ -تعالى- مُمَاسٌّ لَهُ، أَوْ مُتَمَكِّنٌ فِيهِ، أَوْ مُتَحَيِّزٌ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ، لَكِنَّهُ بَائِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ جَاءَ بِهِ التَّوْقِيفُ فَقُلْنَا بِهِ وَنَفَيْنَا عَنْهُ التَّكْيِيفَ؛ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية ١١]»[(١)].

١٩- وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البَيهَقِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت ٤٥٨هـ) ما نصه: «وَالَّذِي رُوِيَ فِي آخِرِ هَذَا الحَدِيثِ[(٢)] إِشَارَةٌ إِلَى نَفْيِ المَكَانِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْعَبْدَ أَيْنَمَا كَانَ فَهُوَ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنَ اللهِ تَعَالَى سَوَاءٌ، وَأَنَّهُ -سبحانه- الظَّاهِرُ فَيَصِحُّ إِدْرَاكُهُ بِالأَدِلَّةِ، الْبَاطِنُ فَلا يَصِحُّ إِدْرَاكُهُ بِالْكَوْنِ فِي مَكَانٍ.

وَاسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي نَفْيِ الْمَكَانِ عَنْهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ @: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**». فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَلا دُونَهُ شَيْءٌ، لَمْ يَكُنْ فِي مَكَانٍ. اهـ[(٣)].

٢٠- وقال أبو الوفاء علي بن عقيل البَغْدَادِيُّ، شيخ الحنابلة في زمانه (ت ٥١٣هـ) ما نصه: «تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة هذا عين التجسيم، وليس الحق بذي أجزاء وأبعاض يعالج بها». اهـ[(٤)].

٢١- وقال القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد، قاضي الجماعة بقرطبة، المعروف بابن رشد الجد المالكي (ت ٥٢٠هـ) ما نصه: «ليس الله في مكان، فقد كان

---

(١) «أعلام الحديث»: كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: من الآية ٢٧]، (٢/ ١٤٧).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في «سننه»: (٥/ ٤٠٤)، برقم: (٣٢٩٨). وقال أبو عيسى: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ.

(٣) «الأسماء والصفات»، للبيهقي، (ص٤٠٠).

(٤) «البـاز الأشهـب المنقض على مخالفي المذهب»، المعروف بـ: «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، لابن الجوزي، الحديث الحادي عشر، (ص٨٦).

قبل أن يخلق المكان». اهـ. [ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل»[1]].

**٢٢**- وقال الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، الشهير بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، في بيان عقيدته التي هي عقيدة أبي الحسن الأشعري، نقلًا عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك ما نصه: «قالت النَّجَّارية: إن البارئ سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة».

وقال الحَشْوية والمجَسِّمة: إنه سبحانه حالٌّ في العرش، وأنَّ العرش مكان له وهو جالس عليه. فسلك طريقة بينهما فقال: كان ولا مكان، فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه». اهـ[2].

**٢٣**- قال الإمام الحافظ المفسر، عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الجَوزِيِّ الحنبلي (ت ٥٩٧هـ) ما نصه: «الواجب علينا أن نعتقد أنَّ ذات الله تعالى لا يحويه مكان، ولا يوصف بالتغير والانتقال». اهـ[3].

**٢٤**- وقال أيضًا: «افترى أقوام يسمعون أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحس، كقول قائلهم: ينزل بذاته إلى السماء وينتقل. وهذا فهم رديء؛ لأن المنتقل يكون من مكان إلى مكان، ويوجب ذلك كون المكان أكبر منه، ويلزم منه الحركة، وكل ذلك محال على الحق عزَّ وجل». اهـ[4].

**٢٥**- وقال الشيخ أبو منصور، فخر الدين عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن عساكر (ت ٦٢٠هـ) عن الله تعالى ما نصه: «موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف كان ولا مكان، كوَّن الأكوان،

(١) «المدخل»، لابن الحاج المالكي/ فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة، (٢/ ١٤٩).
(٢) «تبيين كذب المفتري»، (ص١٥٠).
(٣) «دفع شبه التشبيه»، لابن الجوزي، (ص٥٨).
(٤) «صيد الخاطر»، لابن الجوزي، (ص٤٧٦).

ودبَّر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصَّص بالمكان». اهـ[1].

٢٦- وقال الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، المعروف بابن الحاجب المالكي (ت ٦٤٦هـ) مثنيًا على العقيدة التي كتبها الشيخ العز بن عبد السلام، ومما جاء في هذه العقيدة قول العز بن عبد السلام: «كان الله قبل أن كوَّن المكان ودبَّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان». اهـ.

ومن جملة ما ذكره في ثنائه، قوله: «ما قاله ابن عبد السلام هو مذهب أهل الحق، وإنَّ جمهور السلف والخلف على ذلك، ولم يخالفهم إلا طائفة مخذولة، يخفون مذهبهم، ويَدُسُّونه على تَخَوُّفٍ إلى من يستضعفون علمه وعقله». اهـ[2].

٢٧- وقال الشيخ العز بن عبد السلام الأشعري، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، ما نصه: «ليس -أي الله- بجسم مصوَّر، ولا جوهر محدود مُقدَّر، ولا يشبه شيئًا ولا يُشبهه شيء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات، كان قبل أن كوَّن المكان ودبَّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان». اهـ[3].

٢٨- وقال الحافظ أبو زكريا محيي الدِّين بن شرف النَّووي الشافعي الأشعري (ت ٦٧٦هـ)، ما نصه: «إنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء، منزَّه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق». اهـ[4].

٢٩- وقال العلامة الأصولي، الشيخ أحمد بن إدريس القَرَافي المالكي المصري (ت ٦٨٤هـ)، أحد فقهاء المالكية ما نصه: «وهو -أي الله- ليس في جهة، ونراه نحن وهو ليس في جهة». اهـ[5].

(١) «طبقات الشافعية الكبرى»، لتاج الدين السبكي، (٨/ ١٨٦).
(٢) «طبقات الشافعية الكبرى»/ ترجمة العز بن عبد السلام، (٨/ ٢٣٧).
(٣) «طبقات الشافعية الكبرى»/ ترجمة العز بن عبد السلام، (٨/ ٢١٩).
(٤) «شرح صحيح مسلم»، لابن الجوزي، (٣/ ١٩).
(٥) «الأجوبة الفاخرة»، للإمام القرافي، (ص٩٣).

**٣٠**- وقال الحافظ ابن حجر العَسْقَلانِيُّ الشَّافِعِيُّ الأَشْعَرِيُّ (ت ٨٩٢هـ)، ما نصه: «ولا يلزم -من كون جهتي العلو والسفل محالًا على الله- ألَّا يوصف بالعلو؛ لأنَّ وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس؛ ولذلك ورد في صفته العالي والعلي والمتعالي ولم يرد ضد ذلك، وإن كان قد أحاط بكل شيء علمًا جلَّ وعزَّ». اهـ[١].

**٣١**- وقال أيضًا عند شرح حديث النزول ما نصه: «استدلَّ به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور[٢]؛ لأنَّ القول بذلك يفضي إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك». اهـ[٣].

**٣٢**- وقال أيضًا: «فمعتمد سلف الأئمة وعلماء السنَّة من الخلف، أنَّ الله منزه عن الحركة والتحول والحلول، ليس كمثله شيء». اهـ[٤].

**٣٣**- وقال الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القَسْطَلَانِيُّ (ت ٩٣٣هـ)، في شرحه على «صحيح البخاري» ما نصه: «ذات الله منزَّهة عن المكان والجهة». اهـ[٥].

**٣٤**- وقال أيضًا ما نصه: «قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ﴾ هي وجوه المؤمنين، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة ناعمة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بلا كيفية ولا ثبوت مسافة». اهـ[٦].

**٣٥**- وقال الشيخ القاضي زكريا الأَنْصَارِيُّ الشَّافِعِيُّ الأَشْعَرِيُّ (ت ٩٢٦هـ)،

---

(١) «فتح الباري»، لابن حجر العسقلاني، (٦/ ١٣٦).
(٢) أي أهل السنة والجماعة.
(٣) «فتح الباري»، (٣/ ٣٠).
(٤) «فتح الباري»، (٧/ ١٢٤).
(٥) «إرشاد الساري»، للقسطلاني، (١٥/ ٤٥١).
(٦) «إرشاد الساري»، (١٥/ ٤٦٢).

في شرحه على «الرسالة القشيرية» ما نصه: «إِنَّ الله ليس بجسم ولا عَرَض، ولا في مكان ولا زمان». اهـ[1].

**٣٦**- وقال أيضًا عن الله ما نصه: «لا مكان له كما لا زمان له؛ لأنه الخالق لكل مكان وزمان». اهـ[2].

**٣٧**- وقال في كتابه «فتح الرحمن» ما نصه: «هو تعالى مُنَزَّهٌ عن كل مكان». اهـ[3].

وعلى ذلك درج جمهور علماء الأمة الذين يعتد بكلامهم.

(١) حاشية «الرسالة القشيرية»، للقشيري، (ص٢).

(٢) حاشية «الرسالة القشيرية»، (ص٥).

(٣) «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»، للشيخ زكريا الأنصاري/ تفسير سورة الملك، (ص٥٩٥).

# معاني الاستواء وآيات الاستواء

إنَّ الاستواء في اللغة على وجوه عدة، منها:

**١- بمعنى استقر**[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: من الآية ٤٤]، وهذه صفة المخلوق الحادث، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ...﴾ [الزُّخرُف: ١٢، ١٣]، وهو نَزَّهَ نفسه عن ذلك في كتابه العزيز بآيات التنزيه ونفي التشبيه والتمثيل.

---

(١) والاستقرار هو المعنى الحقيقي المتبادر للذهن من لفظ «الاستواء» في اللغة، وبقية المعاني المذكورة لهذا اللفظ هي صور بلاغية مقتبسة من هذا المعنى الحقيقي، فيقول الإمام تقي السبكي في «السيف الصقيل»: «والمعنى الثاني للاستواء في اللغة: «الجلوس والقعود»، ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك والله مُنَزَّه عنها، ومن أطلق القعود، وقال إنه لم يُرِدْ صفات الأجسام -قال شيئًا لم تشهد به اللغة؛ فيكون باطلًا، وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له؛ فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره.

واعلم أنَّ الله تعالى كامل المُلك أزلًا وأبدًا، ولكن العرش وما تحته حادث؛ فإن قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء». اهـ. [«السيف الصقيل»، ص٨٧].

وقد ورد في تفسير «الاستواء» أنَّه: «الاستقرار والجلوس» في خبر موضوع على ابن عباس، ورواه الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات»، عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح -وكلاهما سلسلة الكذب- عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، يقول: «استقرَّ على العرش»، ويقال: «امتلأ به»، ويقال: «قائم على العرش»، وهو السرير»، وأَكَّدَ الإمام البيهقي بُطْلَانَ هذا الخبر، فيقول المفسر النيسابوري -رحمه الله تعالى- في تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف: «إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ تدل على قدرته وحكمته، وكذا قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ الآية. فلو كان المراد من «الاستواء» هو«الاستقرار» كان أجنبيًّا عما قبله وعما بعده؛ لأنه ليس من صفات المدح؛ إذا لو استقر على بَقٍّ وبعوض، صدق عليه أنه استقر على العرش.

إذن، فالمراد بالاستواء: كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت؛ حتى تصير هذه الكلمة مناسبةً لما قبلها ولما بعدها». اهـ. [من «تفسيره»، (٨/ ١٠٧)].

وقلنا في تهذيب واختصار «شرح السنوسية»: بعض ما يستحيل على الله عز وجل[هـ] أَوْ يَتَقَيَّد بِمَكَانٍ.

ويستحيل على الله تعالى أن يتقيد بمكان؛ فحقيقة المكان: هو استقرار جرم على جرم.

فالمستقر عليه هو المكان؛ لأنَّ الله لو كان له مكان لكان جرمًا، ولو كان جرمًا لانْتَفَتْ المخالفة، ونفي المخالفة عن الله تعالى محال، ولاحظ أن نفي المكان يستلزم نفي الحدود عن ذاته تعالى، كما نَصَّ عليه أهل السنة.

**٢- ومنها القصد إلى الشيء**، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فُصِّلَت: من الآية ١١].

ويكون المعنى -كما بَيَّنَهُ الإمام أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ القُشَيْرِيُّ-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: على تأويله الاستواء بالقصد قول الشاعر:

ثُمَّ اسْتَوَيْتُمْ لَنَا تَرْمُونَ أَنْكُبَنَا * بَغْيًا وَفِي الْبَغْيِ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا النَّكَلُ

قال الإمام الزركشي في «البرهان في علوم القرآن»: «قال الأستاذ: والصواب ما قاله الفراء والأشعري، وجماعة من أهل المعاني: أن معنى قوله: «استوى»: أقبل على خلق العرش، وعمد إلى خلقه فسماه استواء، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَت: من الآية ١١]؛ أي قصد وعمد إلى خلق السماء، فكذا ها هنا قال، وهذا القول مَرْضِيٌّ عند العلماء ليس فيه تعطيل ولا تشبيه».

[الأستاذ المشار إليه في النقل السابق، هو: إسماعيل الضرير، المُفَسِّرُ المُقْرِئُ المُحَدِّثُ].

**قلت**: وقد ذكر العلامة الخضر الشِّنْقِيطِيُّ أيضًا أن «على» تأتي بمعنى «الباء»، وبمعنى «إلى»، ثم قال: «وحروف الجر وتعاقبها في كلام العرب غير محصور». اهـ[1].

**٣- ومنها إتمام الشيء**، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: من الآية ١٤]، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: من الآية ٥]: استتم خَلْقه بالعرش؛ فلم يخلق خارج العرش شيئًا، وجميع ما خلق ويخلق -دنيا وأخرى- لا يخرج عن دائرة العرش؛ لأنه حاوٍ لجميع الكائنات، ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته تعالى ذرة؛ فأنى يكون مستقرًّا! قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾، وقال: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: من الآية ٢٩]؛

(١) «استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات»، الشنقيطي، (ص٣٦٣).

فـ «على» أي: استتم ذلك الزرع وقوي؛ فعلى هذا التقدير يكون فاعل «استوى» ضميرًا عائدًا على المصدر المفهوم من لفظ «خلق»، و«على» بمعنى الباء في قوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ فيكون المعنى استتم واستكمل الخلق بالعرش، فلم يخلق شيئًا فوق العرش، وبرجوع الضمير لمصدر «خلق» يندفع كل إشكال، ورجوع الضمير للمصدر المفهوم من الفعل السابق شائع في كلام العرب، وارد في كتاب الله تعالى؛ فقد قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: من الآية ٨]، «هو» أي: العدل المفهوم من «اعدلوا»، وإتيان «على» بمعنى الباء وارد في كتاب الله، قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [الأعراف: من الآية ١٠٥]، فقوله ﴿عَلَىٰٓ﴾ هنا أي «بي»، وقد قرئ في بعض القراءات «حقيق بي» [ذكر هذا التأويل الإمام أبو طاهر القَزْوِينِيُّ، ونقله عنه العلامة محمد الخضر الشِّنْقِيطِيُّ في «استحالة المعية بالذات»[1]، وقال عنه إنَّه من أحسن التأويلات، ومُخْرِجٌ من كل شبهة واردة، ونقله وارتضاه أيضًا الإمام الحافظ ابن حجر العَسْقَلَانِيُّ في «فتح الباري»، واختاره وارتضاه دون سواه ابن حزم / في كتابه «الفِصَل في المِلَل والنِّحَل».

### ٤- التأويل الرابع: الاستعارة التمثيلية:

إنَّ الاستعارة التمثيلية -كما يقول علماء البيان- «تركيبٌ استعمل في غير ما وضع له؛ لعَلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي»، وكما هو معلوم فليس هناك قرينة أقوى من تنزيه الله سبحانه عن الجسمية ولوازمها.

وفي مسألتنا هذه - مسألة الاستواء- يكون التأويل بأن يشبه شأنه تعالى -في تدبيره لأمر ملكه، ونفاذ سلطانه على كَافَّةِ خلقه- بحال الملك العظيم المستوي على عرش مملكته، النافذ السلطان على كل من فيها، ولله المَثَلُ الأعلى وهو العزيز الحكيم، [وهذا يُعَدُّ من أقوى التأويلات في مسألة الاستواء].

(١) «استحالة المعية بالذات»، (ص٣٦٠-٣٦٣).

ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية ما يقال لمن يأتي بالقول الفصل:

«قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ» من غير أن يكون هناك جهيزة ولا خطيب، وإنما هو تشبيه حال بحال.

أو كقول أحدهم، لمن رآه يعزم على الأمر مرة ويعدل عن عزمه أخرى: «ما لي أراك تُقَدِّمُ رِجْلًا وتؤخر أخرى؟!» ولا رِجْلَ هناك ولا تقديم لها ولا تأخير، وإنما هو معنى الإقدام والإحجام أُورِدَ في هذه الصورة الحسية، وكذا يقال «استوى على عرش المملكة الفلانية» إذا تَوَلَّى مُلْكَهَا، ويقال «ثُلَّ عَرْشُهُ» إذا زال عنه الملك.

وكَثُرَ ذلك حتى أصبح لا يكاد يلتفت الذهن إلى المعنى الأصلي الأول المنقول منه، فإذا سمع العربي: «استوى فلان على عرش العراق أو على عرش مصر» لم يخطر بباله قعود على عرش، ولا جلوس على سرير، بل يسبق فهمه إلى المراد بهذا التركيب.

**٥- التأويل الخامس: الاستواء هو الاعتدال:**

فيقول الدكتور إبراهيم عبد الرحمن: «أنْ يكون من الاعتدال، بمعنى القيام بالعدل في الخلق والتدبير». اهـ.

ويقول الإمام ابن اللبان: قد قررنا «استوى» افتعل من السواء، وأصله «العدل»، وحقيقة الاستواء المنسوب إلى ربنا في كتابه بمعنى العدل؛ أي: أقام العدل، وأصله من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨].

والعدل هو استواؤه، ويرجع معناه إلى أنه أعطى بعزته كُلَّ شيء خَلْقَهُ موزونًا بحكمته؛ للتعرف إلى خلقه بوحدانيته؛ ولذلك قرنه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨].

والاستواء المذكور في كتابه استواءان: «استواء سماوي، واستواء عرشي...»، إلى أن قال: «وأما الاستواء العرشي، فهو أنه تعالى قام بالقسط معَترَفًا بوحدانيته في عَالَمَيْنِ: عالم الخلق وعالم الأمر -وهو عالم التدبير- ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٤]، فكان استواؤه للتدبير بعد انتقاء عالم الخلق؛ لقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: من الآية ٣].

وبهذا تَمَّ سِرُّ تعدية الاستواء العرشي بـ «على»؛ لأَنَّ التدبير للأمر لا بد فيه من استعلاء واستيلاء». اهـ. [المقصود منه][1].

(١) «رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات»، لشمس الدين ابن اللبان، (ص٤١).

# بين التفويض والتأويل

**المحكم والمتشابه:**

لقد عَرَّفَ العلماءُ المحكمَ من آيات القرآن الحكيم بأنه: ما كان راجح الدَّلَالَة بنفسه، أو ما نزل منزلته من المؤولات تأويلًا قريبًا، لا يصعب إدراكه على العامة فضلًا عن الخاصة، والمتشابه ما ليس كذلك.

وقد مثل العلماء للمتشابه بآيات الصفات، وآيات الاستواء على العرش، وكونه في السماء، وحديث النزول، وآيات ذكر اليد والقدم والأصابع... إلخ.

وعن فهم وتفسير هذه النصوص، يقول الإمام النَّووي عند شرحه لحديث النزول [٧٥٨] من «صحيح مسلم»، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)/ باب صلاة الليل والوتر: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان، ومختصرهما: أنَّ أحدهما -وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين- يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حَقِّنَا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

أما الثاني -وهو مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف- فهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي، وهو أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها؛ فعلى هذا تَأَوَّلُوا هذا الحديث تأويلين؛ **أحدهما**: تأويل مالك بن أنس وغيره، ومعناه: تَنْزِلُ رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه

بأمره، **والثاني**: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الدَّاعين بالإجابة واللطف، والله أعلم». اهـ.

ويقول العلَّامة كمال الدين بن أبي شريف في شرحه على «المسايرة»:

«واعلم أنَّ كلام إمام الحرمين من الإرشاد، يميل إلى طريق التأويل، ولكنه في «الرسالة النظامية» اختار طريق التفويض؛ حيث قال: «والذي نرتضيه رأيًا، وندين اللهَ به: عقدُ اتِّبَاعِ سلف الأمة؛ فإنَّهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها»، وكأنه رجع إلى اختيار التفويض لتأخر الرسالة، ومال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى التأويل؛ فقال في بعض فتاويه: طريقة التأويل -بشرطها- أقربها إلى الحق، ويعني بشرطها: أن يكون على مقتضى لسان العرب.

وتوسط ابن دقيق العيد / ، فقال: يقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أُوِّل به قريبًا مفهومًا من التَّخَاطُبِ، ويتوقف فيه إذا كان بعيدًا، وجرى شيخنا المُصَنِّفُ على التوسط بين ما تدعو الحاجة إليه لخلل في فَهْمِ العوام، وبين ما لا تدعو الحاجة إليه». اهـ[1].

**سبب إحجام كثير من الصحابة والتابعين عن التأويل:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ @: «**مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»[2].

وقال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[3]، وفي رواية: «**اتَّقُوا**

(١) «المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة»، لكمال الدين بن أبي شريف، (ص٣٥، ٣٦) [بتصرف].

(٢) أخرجه أبو داود: (٣/ ٣٢٠)، برقم: (٣٦٥٢)، والترمذي: (٥/ ٢٠٠)، برقم: (٢٩٥٢)، والنسائي في «الكبرى»: (٥/ ٣١)، برقم: (٨٠٨٦)، كلهم من حديث جندب © .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (١/ ٢٣٣) برقم: (٢٠٦٩)، والترمذي: (٥/ ١٩٩) برقم: (٢٩٥٠)، والنسائي في «الكبرى»: (٥/ ٣٠)، برقم: (٨٠٨٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٦/ ١٣٦)، برقم: (٣٠١٠١)، كلهم من حديث ابن عباس § ، وقال أبو عيسى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**[1].

وقد حمل العلماء النَّهْيَ على وجهين:

**الأول**: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل عن طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه؛ ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى؛ لكان لا يلوح من القرآن ذلك المعنى، سواء كان عالمًا بما يصنعه من التلبيس على الناس أم لا.

وقد استعمل أهل البدع -من القَدَرِيَّة والبَاطِنِيَّة ومن شابههم- هذا الأسلوب للتغرير بالناس، ودعوتهم إلى باطلهم.

**الثاني**: أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار السماع والنقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذق والإضمار والتقديم والتأخير، وغير ذلك.

ومن هذين النصين يتبين الدواعي والأسباب في إحجام وامتناع أغلب السلف عن التأويل؛ فقد روى ابن جرير الطبري بإسناد صحيح عن أنس قال: قَرَأَ عُمَرُ بن الخطَّاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ حَتَّى أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قَالَ: قَدْ عَرَفْنَا الْفَاكِهَةَ، فَمَا الْأَبُّ؟ قَالَ: لَعَمْرُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ.

وروى أبو عبيدٍ القاسمُ بن سلام، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّديق ☺ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فَقَالَ: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ!»[2].

فما بالكم إذن بآيات المتشابه التي تتحدث عن صفات الله تعالى!.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (١/ ٣٢٣)، برقم: (٢٩٧٦)، والترمذي: (٥/ ١٩٩)، برقم: (٢٩٥١). وقال أبو عِيسَى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير، (تفسير سورة عبس)، (٤/ ٥٧١).

## كلام المفسرين عن قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

ولننتقل الآن إلى كلام المفسرين حول هذه الآية الكريمة:

١- فقد قال ابن كثير في «تفسيره»: «وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الرعد: من الآية ٢]، فَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَقَالَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا؛ وَإِنَّمَا يُسْلَكُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مَالِكٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ إِلَى أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِينَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، بَلِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَئِمَّةُ -مِنْهُمْ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ- : «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ»، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولَهُ تَشْبِيهٌ؛ فَمَنْ أَثْبَتَ لِلهِ تَعَالَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ الصَّرِيحَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى، وَنَفَى عَنِ اللهِ تَعَالَى النَّقَائِصَ؛ فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْهُدَى».

٢- وفي «الدر المنثور» للسُّيُوطِيِّ: «وأخرج ابن مَرْدَوَيْه واللَّالَكَائِيُّ فِي «السُّنَّةِ» عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ¾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الرعد: من الآية ٢] قَالَتْ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ».

٣- وأخرج البيهقي عن أحمد بن أَبِي الْحَوَارِيِّ، قال: سمعت سُفْيَان بن عُيَيْنَة يقول: كلما وصف الله من نفسه في كتابه؛ فتفسيرُه تلاوتُه والسكوتُ عليه.

٤- وفي «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» لعبد الرحمن محمد بن مخلوف الثعالبي: «والمعتقد في هذا أنه سبحانه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استوى منزَّهًا عن المُمَاسَّةِ والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، كان الله ولا شيء معه، كان سبحانه قبل أن يخلق المكان والزمان، وهو الآن على ما عليه كان».